معجم العلائلي

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

شرع الشيخ عبدالله العلائلي باصدار معجمه « مقسماً بشكل دوري ليكون في جديده محلاً للنقد والتصويب » (ص ٢٣) فاستقبله الجمهور استقبالاً رائعاً في الصحف والمجلات والنوادي واعتبره اكثرهم حدثاً جديداً في اللغة يجدد شبابها ويرقى بها درجة عليا بعد وثبة الشدياق في القرن الماضي ونهضة المطران جرمانوس فرحات من قبل . واحتفى به الخاصة بحفلة حافلة قيل فيها كل جميل وقام رجال الحكم بواجبهم نحو المؤلف « فايد مجلس النواب اشتراك الحكومة بتقديره وشراء نسخ منه » (نشرة المعجم ص ١).

واطلعنا على الكتاب فاذا ابنا امام جهد بالغ ونصب مضن وجلد عجيب وثمرة « ليالي مؤرقة بين اشتات الكتب قديمة وحديثة » على حد ما قال المؤلف (ص ٢٢).

الا اننا لم نقع ، في ما قرأناه عن الكتاب ، على بحث يليق بجهد المؤلف يصح تسميته موازرة له بالبحث والدرس بطريقة علمية تفي بالموضوع مع ان المؤلف دعا كل قارئ « الى ابداء الرأي حتى ولو (كذا بالاصل) مشوباً بالازورار » (ص ٢٣) وذلك شأن المنصرفين للخدمة بالاخلاص .

وهذه المشاركة بالبحث والدرس هي اجدى في نظرنا ، وفي نظار المؤلف على ما نعتقد ، من التقريظ والمكافأة المادية .

لذلك رأينا ان نؤدي ما يفرضه علينا الموضوع تلبية لداعي الواجب بدرس الكتاب بما امكن من الايجاز والاستيعاب مجتنبين الاختصار المخل والتفصيل الممل .

١

نظرة عامة

١ – شكل الكتاب

الكتاب بقطع نصف يشتمل على مقدمة وبعض حرف الالف (الى اخين) منوع الحرف بين دقيق وكبير رائق التبويب ما بين اصل وفرع ، وفعل واسم

وحرف ، مجرد ومزيد ، معاوم ومجهول ، لازم ومتعد ، الى آخر ما وسع المؤلف من عناية بالفروق وايراد المقابل من لغتي الانكليز والفرنسيين .

٣ — لغة الكتاب

المؤلف متجدد متحرر . للغته في البحث الجديد طابع خاص عليه مسحة من الغموض والابهام شأن كل حديث غير مألوف يؤدى بلغة جديدة لا يدرك المطالع مرماها بسهولة ولا سيما القارئ العادي فلا ينجلي قصد المؤلف وحقيقة فكرته الا بكد الذهن واعمال الروية وتكرار المطالعة واذا انجلى فهيهات ان يستوثق القارئ من انه احسن الفهم مثاله « لاوليتها غنى » « المحل المتهافت » « الصيرورة » بناء فوقي « السببية العقلية » « دلالة المطابقة » اقصى التخالل في اللطائف واعلى التسدد في الجوامد (ص ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١٨ ، ٢٨) ولغته كلها على هذا النمط في ما يبديه المؤلف من ارائه الخاصة حتى اذا تناول الابحاث المطروقة جاءت سهلة يتلقاها القارئ دون عناء .

فهذه اللغة وان تكن مفهومة بذاتها تغدو غامضة عند تطبيقها على الموضوع ومحاولة استشفاف مقصد المؤلف من تخللها على ان ذلك ان جاز في بحث علمي معد لنخبة من الاختصاصيين فلا نراه يجوز في الابحاث المعدة للعامة فجدا لو ان المؤلف وضع نفسه موضع القارئ العادي وحاول افهامه بلغته على نحو ما كان يفعل المؤلف الافرنسي « موليار » المروي عنه انه كان يقرأ على خادمه ما يكتبه ويسألها عما فهمت منه.

اضف الى ذلك بعض اغلاط شائعة على اقلام الكتاب اذا اغتفرت لعامتهم في مطبوعاتهم اليومية البخسة فلا يجوز ان يؤخذ بها مثل الشيخ اللغوي الذي لا يجيز لنفسه الا استعمال الكيمياوي ولم يكتب ولو مرة واحدة الكيماوي او الكيموي . فخليق بمثله الا يستعمل التعابير الآتية : سبق ونوهت به ، اتفق ورأينا ، حتى ولو ، كاي حي ، (صفحة ١٠ ، ١٣ ، ٢٣) بله الاغلاط المطبعية وهي غير قليلة ، لا يمكن التسامح بها في مؤلف جدي معد للتثقيف الناشئة والا بات مدرجة لتعميم الخطإ وهذا ما انكره المؤلف نفسه (في كتابه مقدمة صفحة ١١٢ بختامها) ووصفه « بانه ترويج للخطأ واشاعة للاغلاط » .

وهناك بعض عبارات ليس لها من ميزة الا طلاوة الجديد : مهما يكن من شيء ، المنوه به ، حتى لحاضر ، الخ.. (صفحة ٤ ، ٥ ،).

٣ – مكانة الكتاب

على ان قيمة التأليف ما كانت ولن تكون بالمبنى جلّ او حقر بل كل العبرة بالفكرة المتجسدة فيه فالكتاب اذا قسنا متنه اللغوي بامثاله رجح عليها جميعاً ترتيباً وتبويباً وسبكاً وايضاحاً غير ان المؤلف أدرك ان سلوك الطريقة القديمة ولو بتفوق كبير لا يفي بالحاجة بل لا بد من طريقة علمية منطقية تنهض باللغة الى مصاف اللغات الحية الوافية بمطالب الحياة .

وكل واقف على معاجمنا يدرك انها ركام من المتناقضات بل تيه يضل فيه الخبير ولا غرابة في الامر فجل الذين عنوا بها اعاجم غرباء عنها من سيبويه المأثور عنه قوله خذوا لغتكم من اعجمي . الى الفيروزبادي صاحب « الضادي والمضادي والضوادي » (ص ٢ من مقدمته) الى الروائف والجبوب والعضرط والصلة والشناتر الخ الخ (ص ٤ من مقدمة الهوريني الثانية عليه) ومن بالغ النكاية ان الهوريني اورد هذه العبارة وامثالها في مقدمته التي سماها « فوائد لطيفة » . وجعل عبارة العضرط والصلة السابقة من مفاخر الفيروزبادي البالغة والجناية البالغة انه نسبها الى سيد البلغاء بلا منازع الامام علي .

وقد تنبه الى هذه العيوب اكثر المشتغلين باللغة من القدماء الى المحدثين كالشدياق واليازجي وزيدان فطرقوا الموضوع وادوا خدمات جلى للغة . واطلّ العلائلي والعسل لا يزال في مبتداه فاخذ على نفسه مهمة الاصلاح وذلك حيث يقول : « كثيراً ما اتهمت العربية بان الكلمة فيها تنشر جناحيها وتطويها على معاني شتى من كل واد » (ص ١٤) والواقع ان المؤلف ترفّق بالمؤلفين بقوله : « اتهمت » لان معاجمنا خالية من كل صلة معنوية او رابط منطقي فليس هناك تهمة مشكوك بها بل حقيقة ناصعة وكل مادة في اي معجم شئت تشهد بان لسان العرب لم يدرس بطريقة منطقية علمية بل ان اصحاب المعاجم قصروا همهم على جمع اللغة كما تيسر لهم اكداساً وركاماً قُدّم بها الفرع الغريب على الاصل الفصيح كانهم رأوا ان مهمتهم تفسير الناهض اولاً وخلطوا به الدخيل

والحوشي والسافل والجلي بحيث اختفى على العربي وجه فتنه اختفاء تاماً .

فتلافياً لذلك استهدف المؤلف القاعدة الآتية : « استخلاص الوحدة المعنوية الاشتقاقية الكبرى اي المعنى الجامع بين كل مشتقات الجذر اللغوي الواحد سالكاً فيها حكاية تطور الجذر بين حقيقة ومجاز » (ص ١٤) ويليه اهداف اخرى كالتفرقة بين ابواب الافعال تبعاً للمعاني وبين الحقيقة والمجاز والتنزيل والنقل الى عدة اهداف غيرها بلغت الخمسة عشر فضلاً عن قواعد اربع وضعها للموازنة وتأصيل الفروع والافعال والتعدية واللزوم الخ ...

فسبيلنا الالمام بهذه الاهداف والتعقيب عليها بما يبدو لنا وراءنا تسديد الخطى في خدمة اللسان. اما ان نخطئ او نصيب فذاك شأن كل باحث وللجمهور الرأي الاعلى .

وغاية المأمول ان يتناول العارفون الموضوع بالعناية اللائقة به ليستقر الجمهور على رأي نهائي فاللغة لغتنا حياتنا نحياتها .

٢

الوحدة الاشتقاقية

ذكر المؤلف لكتابه عدة حسنات كما قدمنا . فأولى هذه الحسنات بالعناية « الوحدة الاشتقاقية او المعنوية » لانها بنظرنا تشبه البلسلة الفقرية للغة . وكل جهد لغوي لا ينحو هذا النحو مصيره الاخفاق التام — وأكبر عيوب معاجمنا اهمالها هذه الناحية المنطقية . فللمؤلف كل الفضل باتخاذه هذه القاعدة اماماً يحتذى ونبراساً يستضاء به .

غير ان القاعدة شيء واستعمالها شيء آخر فالعبرة كل العبرة في تطبيقها .

ان ابن خلدون وضع مقدمة لتاريخه جاءت بدعة في عصره ولا تزال للان ذات شأن ولكن التاريخ الذي وضعه جاء مطبوعاً على غرار ما تقدمه وبقيت اصول مقدمته النفيسة حرفاً ميتاً .

مقارنة

فلم ننظر في الوحدة اللغوية وتسلسلها المنطقي عند المؤلف مبتدئين باول

المواد : الالف والباء . فنثبت المتن اولاً اخذًا عن المعاجم السابقة كاللسان والفيروزبادي ومحيط المحيط والبستان ثم نقابله بما ورد لدى المؤلف ثم نعرض ما لدينا .

١

في الثنائي

أ — مثال اول

ا) — ابَّ : في المعاجم السابقة وردت كما يلي :

« ابَّ للسير » : تجهز ، الرحل : صاح ، الى وطنه : حنّ اليه ، هزم بحملة صادقة ، يده الى سيفه : ردها اليه ليستله ، الشيء : حركه ، أبَّ أبّه ، قصد قصده . ويليه المزيد .

« ابَّ » : صاح ، تابَّ فرح كثيرًا وتعجب ، انتبَّ تهيأ وتجهز .

« الأباب » : الماء والسراب ، الأباب معظم السيل .

« الابُّ » : ما تشتهي الانعام رعيه كالفاكهة للانسان .

« الإبابة » : الطريقة .

ب) — ابَّ — عند العلائلي

وبالرجوع الى معجم العلائلي نراه قدم لهذه المادة بما خلاصته : « لهذا الجذر في الساميات مسيس بدبيب الحياة وتجدد الخضرة والخصوبة ...

اما القدر المعنوي الجامع في دائرة العربية فانه جمع العزم على الرغبة وصبّه في حركة او نزوع الخ » وقد اطال المقدمة ولم يعلل لرأيه هذا بدليل ما ، ولا حاول تطبيق المادة على مقدمتها ليمكن ان يقال ان رأيه مستمد من متن اللغة وان الإستعمال يشهد بصحته وذلك انه اورد المتن كما يلي .

« ابَّ له الرجل لشأن ما كالسفر : تهيأ واستعد وتجهز .

« ابَّ » « مجازا » الى الوطن : حنّ ، في وجه خصمه : صاح ، يده الى سلاحه ردها ليستله .

« ابَّ » المحارب : ، غاب بهجمة صادقة ، الشيء : حركه .

« انتبَّ » المسافر ، تجهز ، ابَّ النازع : صاح .

« تأبيبة به » : فرح كثيرًا ، السامع : تعجب بسذاجة ، الفتى : تبسم تبسم الابله .

الأباب : الماء والسراب . الأباب معظم السيل او الموج .

« الابابة » : الطريقة . الاب : المرعى .

« إبّان » : الوقت ولا يستعمل الا مضافاً . اه .

فلا ادري اذا كان لمقدمة هذه المادة علاقة ما بمعانيها المتصلة اعلاه وهل من دبيب للحياة فيها او جمع العزم وصبه . ثم هل تظهر الوحدة الاشتقاقية والمعنى الجامع بين الماء والسراب والموج والوقت وهل من فرق كبير بين ما ورد في المعاجم السابقة وما قدمه المؤلف .

والنتيجة التي ارى مفردات هذه المادة لا تزال غامضة متضاربة بعيدة عن المنطق شأنها في المعاجم القديمة .

ج) — ابّ — كما وردت لدينا

وددنا لو نسجت هذه المادة كما يلي :

« ابّ » : تحرك وحرك .

« ابّ يؤب ويئب ابا وابابا وأبابة وإبابة وابيباً » : الرجل : (لازم) تحرك صائحاً من فرح او حنين الخ .

« ابّ اليه » : تحرك كحركته بمعنى قصد قصده .

« ابّ للسير » : تحرك له بمعنى تجهز .

« ابّ الى وطنه » : تحرك اليه حنيناً .

« ابّ على خصمه » : حمل عليه حملة صادقة هزمه بها .

« ابّ الشيء » : (متعد) حركه .

« ابّ يده الى سيفه » : مدها اليه ليستله .

« الابّ » : كل ما تنبت الارض من مرعى للانعام كالفها كهة للانسان .

« الاباب » : (مصدر) الحراك مطلقاً فيرد بمعنى الجهاز يقال : هو في ابابه (اي في جهازه) .

واطلق على الماء والسراب والسيل والموج [وارى جواز اطلاقه على اشباهها كالضياء والرواء والشراب والضباب الخ . . .] ومنه المثل : « اذا اصابت الظباء الماء فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » اي ان وجدته فلا تعب منه (والعب الشرب بغير تنفس) وان لم تجده فلا تسعى اليه . يضرب لمن يعرض عن الشيء استغناء .

« الأباب » : معظم الشيء من الموصوفات اعلاه (اي معظم الماء والسيل والموج الخ . . .)

« الأبابة » : (مصدر) الحركة بمعنى الطريقة يقال : ابت ابابته بمعنى استقامت طريقته (اي حركته) .

« اب وناب وأنتب »: مزيدات اب بمعناها اي ، تحرك: صائمًا . او فرحًا او منجبًا او متجهزًا .

تعليل : ومن حق القارئ ان يسأل ما هو الدليل على ان « ابّ » معناها « تحرك وحرك » وان الاباب هو الحراك وليس الماء والسراب الى آخر ما خالفنا فيه اصحاب المعاجم .

فهوذا الجواب : اما ان معنى اب « حرك » فان جميع المعاجم الكبيرة قد نصت عليه وان تكن ذكرته في آخر المادة واغفلت تحرك . واما ان هذا المعنى هو الاصلي دون سائر المعاني الكثيرة المتكدسة في المعاجم ، كما اثبتنا اعلاه فدليله ان الكلمة قلما تحتمل عدة معان اصلية بل هي في الاعم الاغلب ذات معنى واحد اصلي تتفرع عنه سائر المعاني بالاستعمال مجازًا او استعارة او تشبيهًا او كنايةً الخ .

فسبيل اللغوي استعراض المادة والالمام بجميع معانيها ثم العناية بتقصي المعنى الاصلي بدلالة ما عقلية او نقلية والضابط العام الذي قلما يخطىء بهذا السبيل هو ان المعنى الاصلي ينطبق على معاني الفروع ولا ينعكس فاذا سلكنا هذا الطريق في تقصي المعنى الاصيل في ابّ نرى المعاجم نصت على الحركة ونرى الحركة قوام سائر المعاني فلا استعداد ولا تجهز ولا هجوم ولا صياح ولا شهر سلاح دون « حركة » مع ان الحركة يمكن ان تقوم بغير سلاح وهجوم وصياح وتجهز واستعداد، لذلك لم نتردد بان المعنى الاصلي هو «تحرك » للازم من « اب » و« حرك » للمتعدي منها وكل من الف البحث العلمي يسهل عليه تتبع الموضوع .

اما المعاجم الصغيرة الموجزة كمعجم الطالب والمنجد والمعتمد فقد اغفلت المعنى الاصلي بتاتًا وذكرت ما استحسنت من الفروع وكان الاولى بها ايراد المعنى الاصلي وبه الكفاية ولها ذكر ما يروقها من الفروع .

اما المعاجم المستوفاة فان وجب فيها تقصي المعنى الاصلي وايراده فلا يكفي الوقوف عنده بل يجب مواصلة البحث على الخطة ذاتها في ترتيب الفروع فكم من فرع اصبح اصلًا جديدًا تبنى عليه فروع جديدة تبعًا للحاجة فلا بد

من مرافقة الالفاظ بتطورها وتحولها من مدلول سابق الى مدلول لاحق الى ان تستوفي مفردات المادة كلها .

واما « الأباب » فلا يستطيع الخروج على مادته فهو مصدر اب فيجب ان يحتمل معناها ولا عبرة بشروح اللغويين وتفاسيرهم فهي موسومة غالباً بطابع التسامح وعدم الدقة بل العبرة كل العبرة بالنصوص اللغوية الواردة في المتون الموثوقة كالشعر الجاهلي والمخضرم والاموي والنثر الصحيح واعلاه الكتاب الكريم (القرآن) وما صح من نهج البلاغة وامثاله :

واليك البيان : نصت جميع المعاجم ومنها معجم العلائلي في مادة « اب » ان الاباب هو الماء . والسراب ومنهم من قال الماء او السراب الا انهم في مادة « عب » قالوا : العباب شرب الماء . ومنه قولهم : « اذا اصابت الظباء الماء . فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » وشرحوه بقولهم : « اي ان وجدته لم تعب منه وان لم تجده لم تتهيأ لطلبه وشربه » وهو يضرب لمن ظفر بشيء فاعرض عنه استغناء » .

وقد شرح لسان العرب لفظة الاباب في المثل المذكور بقوله : لم تأتب له ولم تتهيأ لطلبه فهذا المثل هو نص لغوي ثقة ردّ اللغويين الى الصواب واجبرهم ان يعطوا « الاباب » معناه الصحيح اي الائتباب او التهيؤ اي الحراك كما رأيت اعلاه ذلك برغم اجماعهم في مادة « اب » على ان الاباب هو الماء والسراب .

وللكابر ان يقول : لماذا لا يكون شرح المثل بالتهيؤ والائتباب هو الخطأ . والاولى شرحه بالماء والسراب فهو ذا الجواب : لو صحّ ان الصواب هو الماء والسراب لبات المثل بلا معنى اذ يكون التأويل اذا اصابت الظباء الماء لا تشرب وان لم تصبه فلا ماء ولا سراب اي لا تشرب ايضاً ! فهل هذا كلام معقول . ولو انه ممكن القبول لما عدل عنه اللغويون الى الائتباب اي التهيؤ او الحراك . والنتيجة ان الاباب لا يمكن ان يطلق على الماء والسراب الا من باب الوصف على ما اثبتناه اعلاه . وفي شروح اللغويين ابهام وتسامح وعدم دقة كأنهم أرادوا ان يقولوا الاباب صفة للماء والسراب فاختصروا وقالوا : الاباب هو الماء والسراب ومثل ذلك كثير .

« الإبّان » : لم نثبته بهذه المادة لان الاشبه به ان يكون من الأبنة ، العقدة في العود ، ومنه قولهم جاء في ابان الرطب والثمار اي وقت خروج الرطب والثمار من أبنتيه

او أبّنه ومنه اطلق على الوقت فقيل اتاني الحر والبرد كما قيل : كنى الواكه في اتاها — ولهذا ورد « اتان » في المعاجم السابقة في مادة (اتن) . واكثر استعماله مضافا كما رأيت الا ان هذا لا يمنع وروده غير مضاف ومنه عن لسان .

ايان نفضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها اتانا

ومن نثر الجاحظ على لسان سادة التبرية قوله « لكل شيء اتان » (كتاب البخلاء قصة اهل البصرة من المسجديين .)

مثال ثان

١) — « ات » — في المعاجم السابقة

« اتّ فلانا » : غته بالكلام ، كبته بالحجة ، داسه ، شدخه .

« اتا في السير » : استقام .

« اتت الماشية ، الشجرة » : غت .

« اتا عليه او به » : وشى به عند السلطان .

« الاتاء » : الناء ، الزبد .

« الإتاوة » الخراج ، الرشوة ، وقيل الرشوة على الماء خاصة .

« الاتاويُّ والاتيُّ » جدول تسوقه وتسهّله الى ارضك السيل الغريب الرحل الغريب .

« الاتو » الطريقة ، الموت ، البلاء ، المرض الشديد ، الشخص العظيم ، العطاء .

« الاتوة » الدفعة . ومنه حديث الزبير كنا نرمي الاتوة والاتوتين ، اي الدفعة والدفعتين ، يريد رمي السهام عن القسي .

« اتاه بأتيه » جاء ، حضر ، عليه الدهر : اهلكه ، الامرَ ، فعله ، على الشيء اقتدره ، الشيء بلغ آخره وسرّ به ، الله لفلان امرَهُ : هياه

« أتى فلان » اشرف عليه العدو .

« اتّى الماء والماء » وجه له مجرى حتى يأتي الى مقره .

« آتى » اعطى ، اليه الشيء ، ساقه ، فلانًا : حازاه ، على الامر : وافقه ، بأتى له الامر : تهيأ وسهلت له طريقه .

« إستأناه » استبطأه .

« الميتاء » التلقاء ، العطاء .

ولا حاجة لاسترعاء انتباه القارئ الى التضارب الظاهر ما بين الكبت بالحجة والدوس والشدخ . وما بين :

اتا في السير استقام ، والاتوة الرشوة والخراج . وما بين .

الاتو الطريقة والموت والبلاء والشخص العظيم والعطاء .

فلننتظر الآن في « المعجم » لعله يجلو الابهام .